امارة البحرين

يطلق اليوم اسم إمارة البحرين على مجموعة الجزر الواقعة في وسط الخليج العربي منفصلة عن ساحل قَطَر والقَطيف، وهي الجزر التي كانت تسمى (Tylos)، وهي جزيرة البحرين، وجزيرة المُحَرَّق وأم نَعْسان وسِتْرَه، مع عدد من جزر صغيرة صخري لا أهمية لها.

الجو

جو البحرين قرب الساحل وفي المناطق المنزرعة حار رطب لا يكاد يحتمل، ولقد كانت البحرين حتى سنة ١٩٢١ موبوءة كالقطيف بالحميات، ولكن منذ السنة المذكورة قامت إدارة البلدية بمجهود كبير في ردم المستنقعات والبرك، فتحسنت حالها تحسناً محسوساً، وأقصى درجة الحرارة ١٠٤° في أغسطس، وتنخفض الحرارة في ديسمبر ويناير إلى ٤٨°، والجو من أكتوبر إلى أبريل مقبول نوعا، فالحرارة تتراوح من ٦٠-٨٠° ف وفي يناير وفبراير تهب الرياح الشمالية فيبرد الجو، ويستعمل الناس النار في منازلهم للوقاية من أذاه، وفي مايو ومنتصف يونيو يهب نسيم البحر فيخفف من شدة الحر ؛ أما من منتصف يونيو إلى آخر سبتمبر فإن الحرارة لاتكاد تنخفض عن ١٠٠°، وعندئذ تكاد الأنفاس تنقطع ويكاد العرق لا يجف ليلا ولا نهاراً ، ولايلطف الهواء إلا نسيم البر ولكنه قليل والأمطار قليلة في البحرين، وموسم المطر من منتصف أكتوبر إلى منتصف مايو.

والرياح التي تهب على البحرين، هي البارح، وهي رياح شمالية غربية، ومدتها أربعون يوماً تبتدئ من الأسبوع الثاني من يونيو، وتكون شديدة هوجاء في الشتاء حين تهب من الشمال، وهذه تهب على البحرين من وقت لآخر في

غير شدة ثم الـرياح الجنوبية الغربية يسمونهـا القوْس، وهي إذا هبت في الصيف اشتد الحر ، ولا سيما في شهـر أغسطس، وهي تهب بغير انتظام من ديسمبر إلى أبريل.

السكان

يبلغ سكان البحرين حسب إحصاء ١٩٥٠: ١٠٩٦٥٠. الثلثان من أهل السُّنّة والثلث من الشيعة. وأكثر الشيعة من القرويين، كما أن أغلب أهل السنة من أهل المدن: وأكـثر أهل السنة من الحُوَلة الذين يسكنون في المنامـة والمحَرّق والبِـديع والحدّ، وهم يشتغلون بالتجارة وليس بينهم رابطة اتحاد أو نفوذ على غيرهم.

أمـا العُشُـوب (بني عتـبة) والسـادة والدواسـر فهم أكـثر القـبائل نفـوداً في البحرين، فبنو عتـبة لهم بالعائلة الحاكمة صلة النسب، والسادة نفـوذهم مستمد من اتصال نسبـهم بالنبي الكريم، والدواسر نفوذهم مستمـد من سلوكهم الحسن في الجزيرة، ومن ثروهم التي اكتسبوها من التجارة. وهنالك بعض قبائل أخرى تنتمي إلى بني خالد.

وأغلب السكان السنيين يسكنون على السـاواحل ومعيـشتهم مرتبطة بالبـحر أكثر من الزراعة ، وهنالك أيضاً عدد من الموالى لا يقل عن ٦٠٠٠ نفس، وجالية صغيرة من الإيرانيين والهنود.

والحياة في البحـرين تختلف عنها في جزيرة العرب. فليس في البـحرين كما في جزيرة العرب روح التعصب لعدم مصاهـرة غير العرب إلا في العائلة الحاكمة فقط، وليس في البحرين كما في الجزيرة البعد عن الكماليات، وتجد في البحرين أثر الروح الفـارسـية والهـندية في المأكل والبناء، وفي المبـابس وبعض العـادات الأخرى.

الصناعات والتجارة

أهم الصناعات في البحرين هو الاشتغال باستخراج الؤلؤ من البحر ، والبحرين تلى عمان في الأهمية من حيث كثرة السفن وعدد الغواصين. والغواصون وإن كل منهم عدد غير قليل يفد من الإحساء ونجد، فإن التجار الذي يمدونهم بالمال من تجار البحرين.

لا يقل عدد المشتغلين باستخراج اللؤلؤ عن عشرين ألف نفس، ويبلغ عدد السفن نحو ٩٠٠ سفينة صغيرة وكبيرة، وموسم الغوص يبتدئ في مايو وينتهي في أكتوبر حيث يبرد ماء البحر.

وقد تداخلت حكومة البحرين في عشر السنوات الأخيرة في عمل الغوص والتجارة؛ فبعد ما كانت التجارة حرة في السني الطويلة، أوجبت الحكومة على التجار التنظيم دفاترهم كما حددت زرباح السُّلف، وكما حالت دون تحكم التجار في الغواصين الصغار؛ والحالة على العموم في البحرين خير منها في بعض السواحل الأخرى. وقد جهزت حكومة البحرين سفينة أعدتها بكل المعدات الطبية لمساعدة المرضى وتخفيف آلام الفقراء من سكان البحرين، والمشغلون باستخراج اللؤلؤ قد يشتغلون في غير موسم الغوص بصيد الأسماك إما بالشبك أو بالحَظْرة.

ويشتغل عدد كبير بالزراعة، ولا سيما في السنوات الأخيرة حيث أكثر الأغنياء من حفر الآبار الارتوازية.

وأهم حاصلات البحرين التمر، الليمون، الاترنج، التين، البطيخ، ويزرع بها بعض الخضروات.

أبو زيدان في البحرين

وأهم الصناعات اليدوية في البحرين نسيج الشُّرع للسفن، والعباءات وبعض أنواع أخرى من الأقمشة ، الحصر الذي يصنع من سمار الاحساء، وبناء السفن من الأخشاب التي تستحضر من الهند خاصة لذلك، وكثير من هذه السفن يصنع لقَطَر وعمان.

ولقد تقدمت التجارة في البحرين في السنين الأخيرة بسبب بناء رصيف للسفن الشراعية ومستودعات للبضاعة. وقد أصبحت البحرين بالنظر إلى مركزها الجغرافي سوقاً هاماً لتجارة اللؤلؤ وغيره من أنواع المتاجر الأخرى. فتجار اللؤلؤ من الكويت وقطر والقطيف وسائر السواحل الغربية يبيعون فيها ما يجتمع لديهم من اللؤلؤ، حيث يصدر بعد ذلك إلى الهند فأوربا. وقد بلغت قيمة ما صدر منه في ستى الرخاء مليونين من الجنيهات. وأما المتاجر فترد للبحرين من الهند وأوربا. ومنها يصدر إلى القطيف وقطر والعُقير حيث يرسل للاحساء وجنوب نجد.

وأهم واردات البحرين : الأرز ، والمنسوجات، والسمن، والبن، والتمر، والسكر، والشاي، والدخان، والأقاويه، والوقود، والأغنام للذبح.

وأهم الصادرات كان اللؤلؤ أهم صادرات البحرين. أما اليوم فإن البترول قد حل محله وأصبح له المكان الأول في ثروة البحرين ولا يوجد صادر آخر ذو قيمة غيره، وتكاد الهند تستولى على أكثر من نصف الواردات، والبلاد الأخرى - فارس والعراق وأوربا - تستولى على النصف الآخر.

وتنقل السسلع التجارية من الهند بوساطة الشركة الإنجليزية وهي تكاد تحتكر تجارة الخليج وتمر أسبوعياً بالبحرين في طريقها البصرة، وفي رجوعها إلى بومباي، وقد أصبحت البحرين منذ سنين مركزاً من مراكز الطيراني المدني،

فأصبحت الطائرات تمر بها كل أسبوع في طريقها إلى الهند أو أوربا، وأصبح في وسع المسافر أن يصل إليها في أربعة أيام من لندن، ونصف يوم من الهند أو مصر.

جزيرة البحرين

أو (أوَال) كما كما يسميها العرب أكبر جزر الإمارة وأهمها ، كثيرة المياه، خصبة التربة، قابلة للنمو والتقدم، ويمكن زيادة المناطق القابلة للزراعة فيها إذا نظم الري ، وجبيت الضرائب بالعدل؛ وقد اتسعت المساحة الزراعية في العشرين سنة الأخيرة، وأكثر الناس من حفر الآبار الارتوازية. وازدادت حركة شراء الأراضي سواء كان للبناء أو للزراعة، بعد أن نجحت شركة الزيت الأميريكية في استنباط البترول من أراضيها.

يبلغ طول الجزيرة ٣٠ ميلا، وهي على العموم مسطحة منخفضة، ولكنها ترتفع تدريجياً إلى نجدٍ داخلِلى يبلغ ارتفاعه ، من ١٠٠-١١٠أقدام.

ويزرع في الجزيرة ما عدا النخيل، الليمون، والرمان، والتوت، والتين، والبطيخ والأترج، وأنواع الخضروات.

ويقال إنه كان بالبحرين ثلثمائة قرية، وسواء كان هذا القول صحيحاً أم مبالغاً فيه، فإن قرى البحرين اليوم لاتتجاوز المائة، وهي أشبه بالأكواخ . ويوجد في بعض القرى المملوكة للعائلة الحاكمة، أو كبار التجار بيوت مبنية بالحجارة ، ومنظمة تنظيماً حسناً ، وهي معدة في الغالب لفصل الصيف.

وقد احتل البحرين البرتغاليون كما احتلوا القطيف، واحتكروا جزءاً كبيراً من

(١) ياقوت، القاموس المحيط.

اللؤلؤ وتجارة الخليج العربي، ولايزال في الجزيرة بقايا خزانات مما شيّده البرتغاليون ولكنها تداعت كلها كما تداعى بناء القلعة التي بنوها لحماية الميناء التي هجرت واتخذت بدلا منها المَنَامَة.

ويوجد على الشاطئ الشرقي من الجزيرة خرائب مدينة كبيرة يقال لها جَوْ (Jow) كانت مقراً لشيوخ البحرين، ولكنها تركت سنة ١٨٠٠ لأن مرفأها غير أمين، ورحل سكانها إلى جزيرة المحرق.

بلدان البحرين

المَنَامَة :

عاصمة البحرين التجارية على الساحل الشمالي الغربي من الجزيرة، ولكون البحر ضحلا عند المنامة تقف البواخر على بعد أربعة أميال لتفرغ شحناتها في السفن الشراعية التي بدورها تنقلها للساحل، وفي وقت الجزر لاتستطيع السفن أو تقرب من الساحل، وقد أنشئ في العشرين سنة الأخيرة رصيف على ساحل البحر يمكن السفن أن ترسو بالقرب منه.

وقد أنشئ بالمنامة بلدي سنة ١٩٢٠م، فقامت بخدمات جُلَّى للبلد، فشيدت طريقاً على ساحل البحر، وغرست الأشجار على الطريق الخارجي، ووعت الطرق الضيق الملتوية، كما قامت بنصيب وافر في سبيل تنظيف البلد، وقد نجحت البلدية في إنارة البلدة بالكهرباء كما ربطت المنامة بالبحرين بجسر يسهل الاتصال بين الجزيرتين : وبالمنامة ما يزيد على ٥٠٠ دكان، وكثير من البيوت التجارية الأوربية والهندية. والبحرين أيضاً بعثة أمريكية، ومستشفى أمريكي قام بخدمات تذكر في سبيل الإنسانية.

---

(١) و (٢) ياقوت.

يبلغ سكان المنامة ٣٩٦٩٨ أكـثرهم من أهل السنة، وبها أيضـاً نحو ألف من غير المسلمين : هنود ونصارى شرقيين، وقليل من الأوربيين.

ويستقي فقـراء المنامة من بئر تسمى عين مُقْبِل ومن مستـودع آخر للماء يسمى القفول في غرب البلدة. أما غير الفقراء فيشربون من ماء الرَّفَاع الشرقي أو الغربي حيث ينقل بوسـاطة الجمال؛ وأمـا الماء المستعـمل للتنظيف فكل بيت لايخلو من بئر.

هذا ماكان فـي الماضي أما الآن فأكثر البـيوت والأماكن التجـارية قد وصلت إليها المياه بواسطة الأنابيب محافظة على صحة السكان.

البديع :

قرب الزاوية الشماليـة الغربية من جزيرة البحرين تمتـد ميلا على السواحل ، ويبلغ عـدد سكانها نحـو ٨ الاف نفس أكـثرهم من قـبائل الدواسـر، ويشتـغل أكثرهم بتجارة اللؤلؤ والعمل على استخراجه.

وقد وقع خلاف بين حكومة البحرين والدواسر في أواخر سنة ١٩٢٢م فجلا الدوايـر من البـديع إلى الدّمّام، وبعـد سنتين رجع قسم منهم إلـى البحريـن بعد استرضاء حكومتها لهم، وأهم قرى البحرين.

البلد القديم:

في الجنوب الغـربي من قلعـة المنامة عـلى ميل ونصف منـها، وسكانهـا من البَحَارنة[١] ، ويشتـغلون بالزراعة وتجارة اللؤلؤ والخـياطة، وعدد سكانهـا نحو ٤٠٠٠، وأكثـر بيوتها مبنى بالطين، وفـي الجهة الشمـالية الغربية ويوجـد سوق

(١) تطلق هذه الكلمة على سكان البحرين.

الخميس نسبة لليوم الذي يقام فيه السوق، وعلى بعد نصف ميل من القرية في الجهة الغربية توجد عين أبو زِيدان، وبجوارها مدرسة متهدمة بهذا الاسم ومنارة يهتدى بها، وبها عدد كبير من أشجار النخيل.

عَسكر :

قريبة على الشاطئ تبعد عن جبل الدُّخَان أربعة أميال ونصف، وسكانها من بُوعَيْنَيْن .

بورى :

في الجنوب الغربي من المنامة تبعد عنها سبعة أميال وسكانها من البَحَارنة، وبها عدد كبير من النخيل لايقل عن ١١ ألف نخلة.

جدَّ حَفص :

في الجنوب الشرقي من القلعة البرتغالية المخربة (قلعة العَجَاج) ، وبعد عن المنامة بثلاثة أميال ونصف، وهي من القرى الكبيرة في البحرين، وسكانها من البحارنة المشتغلين بغرس النخيل والتجارة وإحراق الجص وتجارة اللؤلؤ، وبها من النخيل ما يتجاوز ١٦ ألف نخلة، وبها أيضاً بساتين جميلة يغرس فيها الأترج والفواكه، وتزرع الخضر بأرضها كما يزرع (القت) البرسيم، وبقربها قري صغيرة تسمى عين الدار.

المَعَامِر :

على الساحل الشرقي، بعض بيوتها مبنى بالحجارة، سكانها من البحارنة ويشتغلون بالغوص.

(١) ضبطها ابن بطوطة بالتصغير. أما القاموس وياقوت قضبطاها بغير تصغير كما يلفظها أهلها الآن.

رَفَاع الشرقي :

قرية كبيرة في جنوب المنامة على بعد سبعة أميال منها، وسكانها من العرب الذين يعيشون على بيع الماء المستخرج من آبارها المسمى بالحنيني، ويقيم بها بعض أعضاء العائلة المالكة ، وقد كان لهم شأن يذكر قبل النظام الحالي في البحرين، والرّفاع تعتبر أصبح منطقة في جزيرة البحرين.

رفاع الغربي:

مثل الرفاع الشرقي في موقعة ويبعد عنه واحد وربع ميل وهو في الغرب الشمالي منه، وسكانها سنيون أكثرهم من قبيلة بني عُتْبة، وبعض أعضاء العائلة الحاكمة كانوا يسكنونها ويحكمونها كالرقاع الشرقي، والسكان يشتغلون بنقل الماء وبيعه في المنامة، والمنطقة غير منزرعة.

سَنابِس :

على الساحل الشمالي من الجزيرة بها مسجد، وسكانها من البحارة اللذين يشتغلون ببناء السفن وصيد الأسماك وتجارة اللؤلؤ.

الزّلاَّق :

على الساحل الغربي من الجزيرة أسفل البديع ، وسكانها من الدواسر الذين يشتغلون بالغوص وبها قلعة مخربة.

جزيرة المحرَّق :

تقع جزيرة المحرق في الشمال الشرقي من جزيرة البحرين حيث يفصل الجزيرتين مضيق صغير يبلغ طوله ميلا ونصف ميل فقط يعبر بالسفن الصغيرة، وقد وصلت حكومة البحرين أخيراً الجزيرين بعضهما ببعض بواسطة جسر.

يبلغ محيط الجزيرة أربعة أميال، وساحل الجزيرة رملي منخفض محاط بشعوب مرجانية مما جعل الملاحة إلى البحرين محاطة بشيء من الأخطار. ولكن الملاحين من العرب في غاية المهارة، ولذا فالسفن البخارية القادمة من الهند ترسو بعيدة عن الساحل نحو أربعة أميال.

وبالمحرق عدة ينابيع على الساحل تختفي تحت ماء البحر وقت المد وتظهر وقت الجزر، ويبلغ سكان المحرق والحد ٢٥٥٧٧.

وبجزيرة المحرق ١٦ قرية صغيرة ملحقة بمدينة المحرق أهمها .

عَرَاد :

على الساحل الجنوبي وسكانها بَحَارنة، وبها قلعة متداعية قائمة على خليج عراد، وبها نحو ١٥ ألف نخلة.

بساتين :

على الساحل الغربي من جزيرة المحرق تبعد نحو ميل عن مدينة المحرق، وسكانها من أهل السّنة يشتغلون بالغوص ، وبها قليل من النخيل .

الدَّير :

على الجهة الشمالية الغربية من الساحل تبعد ميلين عن مدينة المحرق، وسكانها بحارنة يشتغلون بالغوص وبها قليل من النخيل.

حالة أبو ماهر :

جزيرة صغيرة جنوبي بلدة المحرق تتصل بالجزيرة وقت الجزر، وسكانها من أهل السنة يشتغلون بالغوص ونقل الماء إلى المحرق من عين تحت البحر، وبها

قلعة صغيرة على نهاية الجزيرة للدفاع عن الماء .

قَلاَلى :

في الجهة الشمالية الشرقية من الساحل، وسكانها من أهل السنة، وأكثرهم من قبائل المَنَانِعة ، يشتغلون بالغوص وصيد الأسماك.

مدينة المحرق:

مقر العائلة الحاكمة الأصلي، واقعة على الجهة الغربية من الجزيرة، وبعد عن مدينة المنامة ميلين.

ويستقي أكثر سكان المحرق من عين أبو ماهر الواقعة جنوبي المدينة في جزيرة صغيرة تسمى بهذا الاسم، تبلغ مساحتها نحو ٨٠٠ ياردة، وتحاط مدينة المحرق بالماء وقت المد العالي من الجهة الشرقية والجنوبية والغربية، فيساعدها ذلك على إزالة الأقذار وتنظيف الساحل.

يبلغ سكان المحرق ٢٠ ألفاً، نصفهم من الحُوَلَة، وعرب المحرق ينتمون إلى بني عتبة وبني علي والزيَاينة؛ وبالمحرق عدد لا يذكر من البحارنة، ويشتغل أهل المحرق بتجارة اللؤلؤ واستخراجه وصيد الأسماك والملاحة وبعض المتاجر الأخرى، وفي موسم الصيف يهجر القسم الأعظم من أهل المحرق مساكنهم وينتشرون على سواحل جزيرة البحرين.

الحِدّ:

في الجنوب الشرقي من جزيرة المحرق، يبلغ سكانها نحو ٨٠٠٠ نسمة، وهم من السادة وقبائل بني ياس، وهم يشتغلون بتجارة اللؤلؤ والغوص، والحِدّ أكبر مركز للغوص.

سِتْرَة :

جزيرة واقعة في شرقي البحرين ، مفـصولة عنها بقناة ضيقة؛ يبلغ طولها من الشمـال للجنوب أربعة أميـال ونصف، وعرضها مـيل ونصف، وبها كثـير من العيون والآبار، وسكانها في الشمال بحـارنة، ويسكنون في سبع قرى صغيرة، وبها كثير من أشجار النخيل.

الجزيرة :

أو كما يسمونها - النبي صالح- هي جزيرة صغيرة قريبة من الساحل الشرقي من البحرين، تبلغ نصف ميل في كل ناحية، وهي من الأماكن العامرة بالنخيل، وفيها نحو ١٤ ألف نخلة، وبها قريتان سكانهما من البحارنة، يشتغلون بالزراعة والغوص وصيد الأسماك.

أم نَعْسَان :

جزيرة صغيرة في الجهة الغربية من البحرين تبعد عنها نحو ميلين فقط، طولها من الشمال للجنوب أربعة أميال، ونحـو ميلين ونصف عرضاً، وهي جزيرة غير مسكونة، وبها عين ما عذبة قرب الساحل الغربي. ويرسل سكان البديع والزلاق من قرى جزيرة البحرين حيواناتهم في الصيف للرعي فيها.

نبذة تاريخية

لا يعرف شيء كـثير عن تاريخ الـبحرين القـديم، وما يعرف عن تاريخـها لا يتجاوز سنة ٤٢٠ قبل الميلاد، حـيث كانت البلدة تدار بوساطة رؤسائها الوطنيين الوثنيين، وفي سنة ٦١٥ بعد الميـلاد غزا بهرام بلاد العرب وأقـام بالجزيرة مندوباً من قبله يدير شؤنها، وقد بقى بها إلى زمن الفتح الإسلام، وبعد الفتح الإسلامي

بمدة قصيرة استرد الحكام المحليون استقلالهم، واستمروا في حكمهم حتى زمن هشام بن عبدالملك، حيث استرد الجزيرة مرة أخرى ، وأقام من جانبه حاكماً قرشياً عام ٧٢٣م، وقد استمر حكم البحرين على هذا النحو حتى آخر حكم العباسيين ف ي القرن الحادي عشر ، فعاد حكم الوطنيين مرة أخرى ، واستمر حتى القرن السادس عشر، وف يالقرن السادس عشر استولى عليها الفرس وعينوا من قِبلهم حاكما عليها، ثم استولى عليها البرتغاليون كما استولوا على هرمز والقطيف سنة ١٥٠٧، واحتكروا جزءاً كبيراً من تجارة اللؤلؤ وتجارج الخليج الفارسي. وقد طرد الفرس البرتغاليين سنة ١٦٢٢ بعد سقوط هرمز، كما أن الفرس بدورهم طردوا منها مرة أخرى، ومازالت الجزيرة يتقلب عليها الحكام من الفرس تارة ومن العرب مرة أخرى، حتى تمكّن عرب بني عتبة من الاستيلاء عليها، وهم الحكام الذين تنحدر منهم العائلة الحالية.

آل خليفة

إن تاريخ ال خليفة أمراء البحرين يشمل ضمناً آل صَبَاح أمراء الكويت، ولذا فإن البحث في تاريخ إحدى العائلتين لا يخلو من استعراض شيء عن العائلة الأخرى للارتباط الوثيق بين العائلتين في الماضي.

قدمنا في الفصل الخاص بالكويت أنه في سنة ١١٢٩هـ (١٧١٦م) تحالفت ثلاث قبائل كبرى وهم : بنو صباح، والجلاهِمة، وآل خليفة. واتخذو الكويت موطناً لهم، واتفقوا فيما بينهم على أن يتولى آل صباح شئون الحكم، وال خليفة التجارة، والجلاهمة العمل في البحر، على أن يقتسم الجميع الأربا بينهم بالتساوي. وبعد مضي خمسين سنة من الحلف سنة ١٧٦٦ رأي ابن خليفة أن ينفصل عن الحلف فعرض على حلفائه مبلغ ما يصيبهم من الغنى إذا همْ سمحوا

له ولعشيرته بالانتقال إلى الجزء المجاور لمغاص اللؤلؤ فيوسس هنالك محلة تدر الشيء الكثير من الأرباح فيستغنى الحلفاء فاستولى جلال الفكرة عليهم وصرحوا لرئيس آل خليفة بترك الكويت مع بعض أفراد عشيرته، فتركها ونزل الرُّبَارة قرب قَطَر والبحرين على الشاطئ العربي.

اكتشف ابن صباح - ولكن بعد فوات الفرصة- الأسباب الحقيقية التي دفعت بحليفهم ابن خليفة إلى مغادرة الكويت، وشعروا بعظم الخسارة المالية التي منوا بها بفقد عضو من أعضاء التحالف، ففكروا في اقتفاء أثر حليفهم ابن خليفة بالتخلص من قيود الحلف مع الجلاهمة، فامتنعوا من مقاسمتهم الوارد، ثم انتهى الأمر إلى طردهم من الكويت وميناها، فلجئوا إلى إخوانهم آل خليفة في الزبارة فأجروا لهم من الرواتب ما يتناسب مع مركزهم، وبعد ذلك جرى بينهم وبين أهل الكويت من المعارك ما كان سبباً للقضاء عليهم وعلى نفوذهم .

يسود الهدوء البحرين، ويسود الصفاء بين الشيخ محمد الحاكم وأخيه الشيخ علي آل خليفة ويتعاونان على قمع الفتن وإنماء حركة التجارة، ويستمر هذا التعاون حتى سنة ١٨٦٧ ثم يتنافس الأخوان على الحكم فيتغلب الشيخ علىّ على أخيه وينفرد بالحكم، فيترك الشيخ محمد البرين إلى الكويت مقر آبائه الأولين، فيسعى عبد ا ابن صباح حاكم الكويت في الصبح بين الأخوين فلا يوفق ، فتقوم الحرب بين الأخوين فيتغلب الشيخ محمد علَى البحرين بعد قتل أخيه علي ، فيحبسه أبناء الشيخ عبد ا بن طريف فيتداخل الإنجليز في الأمر، فيطلقون سراح الشيخ محمد ويحملونه مع بعض الرؤساء إلى سيلان، ويعيّنون الشيخ عيسى بن علي حاكماً على البحرين سنة ١٨٧٠، ويستمر حاكما عليها حتى سنة ١٩٢٣، حيث تغل يده بالنظر إلى كبر سنه، ثم يتولى ولده الأكبر الشيخ حَمَد بن عيسى. وقد توفى الشيخ عيسى بن علي في شعبان سنة

١٣٥١ديسمبر سنة ١٩٣٢م كما توفى الشيخ حمد بن عيسى، وقد تولى الأمر من بعده ولده الأكبر الشيخ سلمان بن حمد وهو الحاكم الحالي.

الحكومة البريطانية والبحرين

كانت سياسة الحكومة البريطانية في خليج فارس في أواخر القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر قائمة على إيجاد عهد من السلم والأمان في تلك المنطقة ، فأعلنت الحرب على القرصنة وحاربتها بشدة.

وقد أرسلت الحكومة البريطانية مستر بروس Bruce[1] عام ١٨١٤ إلى البحرين لاستطلاع أحوالها ،فوصل إليها فيي ١٩ يوليو واستقبله فيها الشيخ عبدا بن أحمد استقبالاً وديا. ويقول مستر بروس : إن زياراته للبحرين كان موفقة ومفيدة جداً، فقد علم أن سلطام مسْقَط غرس في أذهان العرب أشياء كثيرة ضد الانجليز : فقد أفهمهم أن بريطانيا ستصادر سفن البحرية التي تقصد الموانئ الإنجليزية، ولهذا السبب كانوا معتزمين مشاركة الجَوَاسِم في القرصنة، وقد شرح الشيخ عبدا أسباب الخصام بينه وبين إمام مسقط ونَقْض هذا الأخير المعاهدة التي عقدها معهم، وإنه هو نفسه وأفراد قبيلته مستعدون للارتباط مع مسقط لأن مصلحته لا تتعارض وهذا الاتفاق.

وقد أبان الشيخ عبدا للمستر بروس أنه في الوقت الذي كان إمام مسقط يتظاهر بالتعاقد معهم، كتب سراً إلى إمام نجد يغريه بالبحرين لإقامة رَحمة بن جابر حاكما عليها، وقد رفض شيخ بني ياس الانضمام للإمام في ذلك كما رفض أمراء العرب المقيمون على الساحل الفارسي، وقد رحب شيخ البحرين بالسفن الإنجليزية والتجارة البريطانية، وصرح بأنه مستعد لدفع أي خطر عربي عن الجزيرة، وأنه لايشغل باله غير الإنجليز، وأن الشيخ ينتظر أن تعامل بريطانيا

سفنه بنفس المعاملة التي يعامل بها سفنها في البحرين، فطمأنه مستر بورس وأخبره- ولو أنه ليس لديه التفويض السكافي - بأنه مستعد أن يضع معاهدة تزيل مخاوف شيخ البحرين، فوعده الشيخ بأنه سيصدر أوامره الصارمة للتشديد على سفنه باحترام العلم البريطاني حتى في أشد الأوقات حرجا.

(١) ويلاحظ هنا أن خليج فارس في القرن السادس والسابع عشر كان عربيا من جميع الوجوه، غير أن هؤلاء الحكام كانوا معاً في تنازع وخصام دائم حتى أضعفهم ذلك وجعلهم لقمة سائغة لكل فاتح قوي .

العوائد والأخلاق

ذكرن شيئاً من العوائد والأخلاق فيـما كتبانه في فصل السكان، وسنذكر في هذا الفصل بعض الصفات الأخرى المشتركة بين البدو والحضر، أو التي يتميز بها البدو عن الحضر، أو الحضر عن البدو، مما لم يذكر في الفصل السابق.

الألقاب

الفريق الأكـبر من سكان جزيرة العرب ولا سـيما البدو أو القـبائل الرحّل لا يعـرفون الألقـاب الشائعـة في الأقطار الأخـرى، فهم ديموقـراطيون، يدعـون بعضهم بـأسمائهم المجردة، ويخاطبـون ملوكهم وأمراءهم بأسمـائهم وألقابهم العادية، فأصغر البدو يخاطب الملك عبدالعزيز بيا عبدالعزيز، أو يا أبا تركي، أو يا طويل العمر، وإذا سأل عن مليكه فيقـول الشيوخ أو الإمام، والملك نفسه قلّما يعبأ بالألقاب ، فالألقاب تعرف فـقط في الحواضر الكبرى مثل الحجاز. ومع أن البلاد المجـاورة كفارس التي ورثت عن الأتراك عشـقها للألقب قـد تخلت عنها وتخلصت منها، فإن البلاد العربية السعودية أخذت تبتكر ألقاباً غريبة لا تتفق مع الماضي ولا مع الحاضـر. أخذت تمنح لبعض الموظفين وغـيرالموظفين لقب وزير مفوض ووزير دولة مع أن أكثرهم لم يمارس عمله في الدولة لامن قريب ولا من بعيد .

فلعل الحكومـة الحاضرة تقـوم بإلغاء هذه الألقـاب الغريبة وتـرجع إلى حالة البساطة التي كانت تفتخر بها ، فالرجل بعقله وخلقه وأثره في المجتمع لا بلقبه.

وا يهدي من يشاء إلى سواء السبيل.

المساواة

إذا استثنينا التفاضل في الأنساب والإمارة فالناس فيما سوى ذلك يكادون يتساوون في جميع ما لهم من الحقوق وما عليهم من الواجبات، والناس جميعاً سواء في نظر الشريعة الإسلامية، لا فضل لشريف ولا لسيد ولا لحاكم. إذا تعدى أمير على رجل

مكان ص ١٠٥ الساقطة من التصوير

على القديم لا يحب التغير ويكره كل جديد، ولذا فقد كان يتصادم دائماً مع الوكيل السياسي عندما يراد القيام بأي عمل عمراني؛ وأخيراً اتفقت الحكومة البريطانية مع أبنائه على أن يختم الشيخ حياته السياسية ويعتكف في بيته وينوب عنه ابنه الأكبر الشيخ حَمَد، فاحتج الشيخ على هذا العمل الذي لا يتفق مع روح الصداقة، وغضب على ولده نحو خمس سنوات، ثم رضى عنه بعد ذلك. وقد ترك عزل الشيخ عيسى عن إمارة البحرين أسوأ الأثر في نفوس أمراء البحرين وأهلها، وقد أعقب هذا الانقلاب تغييراً في الإدارة فوضع بجانب الشيخ مستشار إنجليزي لمساعدته في الأمور الهامة، وأقيم على الجمارك أيضاً مدير بريطاني، ووضع للبحرين أيضاً موازنة لموازنة الدخل والخرج؛ وقد تأسس في آخر عهد الشيخ عيسى فرع (لمصرف) الإسترن، وقد نشطت حركة التعليم في العشر سنوات الأخيرة نشاطاً يذكر فأسست إدارة للتعليم قامت بإنشاء عدة مدارس : في المنامة والمحرق، كما أنشئت مدارس للبنات وأسست إدارة خاصة للصحة والبوليس، وأصلحت الأسواق، وشقت الطرق في أنحاء الجزيرة

فسهلت المواصلات بين أطرافها.

ولقد كان لاكتشاف البترول في البحرين أثر عظيم في تقدمها وتطورها.

مكان ص ١٠٧ الساقطة من التصوير

عادي فالحاكم الشـرعي كفيل بإنصافه ورد الحق إليـه، وأول الناس خضوعاً للشريعة ابن السـعود نفسه. على أن هذه المساواة لاتكاد تعـرف إلا في نجد، أما في غيرهـا فالعدل يوزن بميزانين: الأعـيان والأشراف والمنتسبـون إلى العائلات الحاكمة لهم ميزان خاص، وسائر طبقـات الشعب لهم ميزان آخر، وقلما يجسر أحد من عـامة الشـعب عل يمطالبة أو مـخاصمـة أحد من الأشـراف أو العائلة الحاكمة؛ لعلمه بأن حقـه لايصل إليه من هذا الطريق ، بل قد يصل الأمر ببعض أعضاء العـائلات الحاكمة أن يحمي بعض المجرمين، ولا يرى الحـاكم من واجبه أن يجبر ابن عمه على طرد اللاجئ.

وإنَّ مَن له اتصـال بالخليج الفارسي والحـجاز ونجد يـدرك بسهولة مـانعني. وربما كان من المفيد إيراد بعض الحوادث التي لاتزال تعلق بالذاكرة .

في سنة ١٩١٦ شكا إلى الأمـير عـبدا بن جلْوِي أمـير الاحسـاء رجلٌ من فلاحي الاحـساء تعدى بعض الخـدم عليه وعلى أبنائه ، فأحـضر الأمير جـميع خدمـه كي يتعـرفهم الشـاكي، فلم يجد مـن بينهم المعتـدى ، فأدرك الأمـير أن المعتـدي قد يكون بعض أبنائه فأمـر بإحضارهم فتـعرف الشاكي على المتـعدى، ولكنه لما علم أنه ابن الأمـيـر تنازل عن الشكوى واعتـذر بأنه لم يكن يعـرف أنه ولده، فأنبه الأمير وقال له : لـقد أخطأت، إذا لم نكن نحن مثال العدالة فكيف نطلب من الناس احتـرام الشريعة؟ لقـد هلك مَن قبلنا من بني إسرائيل وغـيرهم بسبب هذه التفرقة، أما أنت أيها المجـرم (يقصد ولده) فيجب أن تلقى جزاءك.

وهنا قام الأمـير من مـجلسه وانهال عليـه بنفسـه بالعصا وهـو يقول : يجب أن نصلح أنفسنا قبل أن نصلح الناس.

وفي سنة ١٩٢٠ شكا أحـد أهل الرياض إلى الملك عبـد العزيز أن زوجـته –

وقد حكم عليها القاضي بالرجـوع إلى بيت زوجها لاذت ببيت فلان من أقاربه، فأمر المـلك توًّا من بلغ قريبه بإلزام المرأة الرجوع إل زوجـها تنفيذاً لأمـر الشرع، وإذا أخذت هؤلاء حمية الجاهلية فإنه يسيدخ لالبيت بنفسه لتنفيذ أمر الشرع؛ إذ لم نحترم نحن الشرع فكيف نكلف الناس باحترامه، يجب أن نكون قدوة حسنة للناس في كل شيء.

وفي جمادي الثانيـة سنة ١٣٤٣ - ١٩٢٢ كنت زائراً للمرحوم خالد بن لؤى في بيت الإمـارة بمكة، وكان إذ ذاك أمـيرها فـرأيت أمام الشـيخ ابن داود (وهو قاضي الخُزْمة وقـاضي مكة في أول عهد الاستيلاء النجدي) رجلين يتـخاصمان أحـدهما من الأشـراف من سكان الطائف والآخـر من صناع الساعـات، وهذا الشريف أعطى السـاعاتي ناظوراً لإصلاحه، ولما أصلحـه ادعى أن الإصلاح لم يكن طبق الشرط، والرجل الآخر يدعى بأنه طبق الشرط، ويطلب تحويل المسألة إلى رجل خبير.

أراد الشريف أن يجلس بجوار خالد بن لـؤى، فنهره الشيخ وأمره أن يجلس أمامه مع خصمه، وأنهما أمـامه سواء، وبعد أن سمع الشيخ الدعوى حكم على الشريف بما يقـدره صانع خبير. فـقال الصانع : وإن لم يقبل الشـريف ذلك فأنا مسـتعـد أن أرد إليـه الناظور كمـا كان، ولا أريد أن أطالبـه بشيء مطلقـاً جزاء أتعابي. فقال الشيخ: وماتقول في هذا ؟ فـارتبك الشريف، فالتفت إليه الصانع وقال : الحمد . إن وقوفي معك جنبـاً لجنب أمام القاضي يساوي عندي الدنيا ومافيهـا، لقد مضى وقت الظلم، فقد كانوا يكلفوننـا بعمل الأشيا ءولا يعطوننا أجرة، بل لايتنازلون أن يكلمونا، بل كانوا يضـربوننا في بعض الأحيان، الحمد . فقـال الشيخ القاضي: إن الناس جـميعـاً أمام الشرع سـواء، وإن الأشراف أولى الناس باتباع جـدهم سيد الرسل محـمدﷺ الذي يقول : (يا فـاطمة بنت

محمد، إن لا أملك لك من ا شيئاً) . وا يقول : (إن أكرمكم عند ا أتقاكم)، ويقول : (فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون). وهنا أخذ خالد الناظور من الشريف، وقال: لا نسلمه لك حتى تسلم الأجرة التي يقدرها الخبير، فقبل الشريف ذلك مرغماً، وخرج وهو يطلب السلامة؛ لأنه كان محوطاً بالإخوان الذين كانوا يؤمنون على أقوال الشيخ ويُسمعون الشرف همساً ما يكره من قوارص الكلم.

الكرم

الكرم من الصفات المعروفة عند العرب في الجاهلية والإسلام، ولايزال العرب إلى الآن يتفاخرون بها. وفي الحديث الشريف : (من كان يؤمن با واليوم الآخر فليكرم ضيفه)، ولا يكاد يخلو بيت من بيوت العرب من مضيف (مكان يقابل فيه الضيوف) قد يكون حجرة واحدة وقد يكون بيتاً من الشَّعر، وقد يكون بناء مستقلاً .

واحترام الضيف وحمايته من المسائل المسلم بها في بلاد العرب، وحق الحماية ثلاثة أيام، كما أن حقوق الضيافة ثلاثة أيام أيضاً. لقد كان ينزل القاتل في بيت المطالبين بالثأر فيتجاوزون عن كل شيء مادام في ضيافتهم، والنساء لهنّ حق مثل الرجال، وإذا أعطيت كلمة للضيف اللائذ بالبيت قبلتها القبيلة كلها، غير أن أكثر هذه القواعد كاد يقضي عليها الآن بعد ما استتب الأمر للملك عبدالعزيز، فسلطان الشرع فوق كل سلطان، ولا حق لأي إنسان في إيواء مجرم، وكلهم احتراماً للشرع يساعدون على القبض على المجرم وتقديمه للشرع.

لقد جرى العادة عند أمراء العرب أن يفتحوا بيوتهم لكل ضيف يقصدهم

ولكن بعد مضي ثلاثة أيام من إقامته يسأل عن حاجته.

وقد يبلغ ضيوف الملك عبد العزيز نحو عشرة الاف، فتمتلئ بيهم بيوت الرياض وبطحاؤها، وربما كان عدد الضيوف الدائمين لايقل عن ٥٠٠ كل يوم.

ومن العيوب في بعض النواحي العربية أن يأكل الرجل وبيته مغلق ، فإن إغلاق البيت من أمارات البخل، كما أن من العيوب عندهم شراء اللحم من السوق بالرطل، فالأربعة أو الخمسة يشتركون في شاة يشترونها ويقسمونها بينهم.

والسيد ينادي خادمه : يا ولد أو يا وُلَيْد، ولا سيما إذا كان لديه خدم كثيرون، وإذا كان يريد القهو ة فإنه يقول : هات قهوة، فباقي الخدم يصيح هات قهوة، حتى يصل الصوت إلى عامل القهوة فيحضرها، وهذه العادة لاتزال تستعمل في سائر البلدان العربية؛ والملك ابن سعود وأبناؤه الآن يستعمل الأجراس الكهربائية في قصره بدلا من النداء القديم ، ولكنه يرجع إلى العادة القديمة إذا كان في الصحراء أو في أحد الأماكن الأخرى التي ليس فيها أجراس.

وإذا كان الملك في الصحراء للصيد، ونزل للراحة وأراد بعض خدمه أو أحد أفراد حاشيته، فليس هنالك وسيلة إلا النداء بأعلى الصوت، وكل خادم يسمع النداء ينادي بدوره حتى يدوي الصوت في المعسكر ويسمع الشخص المطلوب، فيقول : جاك أي جاءك.

والخادم ينادي سيده : عمي، ويدته، عمتي.

وإذا حضر الطعام وجلسوا جميعاً حول المائدة، نادي الخادم بأعلى صوته: سمِّ، أي باسم ا ابتدئوا.

والقهوة التي تقـدم لكل ضيف مهما صغـر مقامه، ولكن إذا سما مـقامه فإن القهوة تحضر جديدة، ولايصح الاعتذار عن قبول القهوة.

وقد كانوا من عهد غير بعيد يعطون للضيوف بعد القهوة : إما مَغْلى الزعفران أو مغـلي الليمـون. أو القرفـة، أو شيئـاً من الحليب مـحلى بالسكر، ولكن في السنين الأخيرة انتشرت عادة الشاي في البادية والحاضرة، ويستعملونه غالباً غير ممزوج باللبن، والبـادية تستـعمله غليظـا مرير الطعم من كـثرة غليـه على النار. وأهل عمان يقدمون شيئاً من الحلوى أو البسكوت يدعونه الفوَالة.

ومن حق القـادم من سفر أن أصـدقاءه ومـعارفه يـزورونه في بيته ويـقولون لأقرب الناس إليه: قرّت عينك (أي سررت بحضور فلان) فيقول : قرت عينك بنبيك، وعند لقائهم يقبل الأصغر أنف أو جبهة الأكبر أو كتفه ، وعاد الكتف في البـحرين والكويت، والأنف والجـبهـة في نجد والبـادية- أما تقـبيل اليـد فغـير معـروف إلا في الحجـاز، وقد استنكرهـا الإخوان والعلماء النجـديون عند أول دخولهم الحجاز، ولكنهـم بعد بضع سنوات تسامحوا فيهـا، فأهل الحجاز الآن يقـبلون يد الملك والقضـاة ولايرون في ذلك بأساً، وقـد كان الأشـراف في مكة يترفعون عن مد أيديهم للناس للتقبيل، فيكتفي الناس بلثم طرف الثوب.

والغالب أن يدعو أصـدقاء القادم صديقهم إلى دعوة عَـشاء أو غداء أو على القهوة بعد المغرب مع جمع من أصدقائه، وعادة الدعوة للقهوة نجدها بكثرة عند أهل نجد أينما حلوا في الكويت أو البحرين أو الهند.

ومن عادة الأمـراء زيارة العائلات الكبيرة في رمـضان والأعياد، وقـد كانت العادة في الـكويت والبحريـن حضور الشـيخ أو أحد أبنائه المقـدمين على رأس الأهالي عند إتمام بناء السفـينة الكبيرة وإنزالها إلى البـحرين. كما يجـري أمثال

ذلك في أوروبا وأمريكا، وقد ماتت هذه العادة من البحرين والكويت، وأصبحت مقتصرة على الأهالي يعين بعضهم بعضاً عند إنزال السفينة إلى البحر.

ومن طرق إكرام الضيف تقديم القهوة، والعادة في نجد أن يُصَبَّ للضيف بضع قطرات من القهوة ثم يتكرر الصب مرة أخرى حتى يهز الضيف يده مكتفياً. أما في البحرين والكويت والحجاز فيصب نصف الفنجان تقريباً للضيف، والقهوة في جميع البلاد العربية تحضر بلا سكر، والقهوة من أمارات الكرم تحضر أمام الضيف في نجد والبادية، وفي بعض البيوت الكويتية التي نمت بنسب إلى نجد : كما جرت العادة أن يتناولون الفنجان الزول صاحب البيت إن كان هو المتولي لخدمة ضيوفه، أو الخادم المتولي للصب؛ فهل هذا للتحقق من أن القهوة محضرة تحضيراً لا عيب فيه من حرق؛ أو لا يزال ينقصها شيء من حب الهال أو الزعفران، أو أن ذلك من بقايا العوائد القديمة : عوائد الاغتيال؟ إن أرجع الاحتمال الأول؛ فإن العرب معروفون باحترام الضيف ومراعاته والدفاع عنه.

والغالب في الضيافات أن يُرَش الضيوف بماء الورد، وقد حلت الكولونيا محل ماء الورد، والبخور من قبيل زيادة الإكرام، وإذا أحضر للضيف ماء الورد وبخور العود فلا يجود المكث بعد ذلك، فمن قبيل الأمثال الدارجة على أسلنتهم: ما بَعَدَ العود من قعود ؛ ويطلقون على المِرش قُمْقُم (تركية أو فارسية) إشارة للضيف : قم ولا تجلس؛ ولذا فإن أكثر المضيفين يؤخرون الورد والبخور حتى يهم الضيف بالانصراف من قبل نفسه، وفي بعض الأحيان يقدمون الورد والبخور قبل الأكل ليتركوا للضيوف حرية البقاء أو الانصراف بعد الفراغ من الطعام، ومن العادات الإسلامية التي لا يزال النجديون محافظين

عليها الانصراف بعد الأكل بقيل : « فإذا طَعمتم فانتشروا» .

والدعوة على شرب القهوة كالدعو على شرب الشاي في البلاد المتمدنة، ولا شيء ينال من إحساس العربي أكثر من إهانة الضيف . ولقد رأيت الملك عبدالعزيز المعروف بسعة الصدر والحلم ينقلب إلى رجل آخر عندما علم أن ضيوفه قد أهينوا من رجاله المنوط بهم إسكان الضيوف وخدمتهم وتوفير أسباب الراحة لهم، ولطرافتها نورد بعضها:

في صيف ١٣٤٤هـ - أغسطس سنة ١٩٢٥م كنت جالساً في حضرة السلطان عبد العزيز (الملك عبدالعزيز) في مكة في قصره في المعابدة(المعروف ببيت السَّقَّاف)، وكان من عادته أن يجلس على شرفة داخل البيت، ويشرف على الطريق بوساطة نافذة كبيرة ليرى الغادي والرائح، فمر رجل بدوي حاول أن يتكلم معه فنهره، فقال الرجل : لعلّى لم أذنب يا محفوظ، لعلّى لم أخطئ، لقد بت من غير عشاء، فنالت هذه الكلمة الجهة الحساسة منه، فناداه: ما بالك أيها الرجل! أدخلوه، فلما حضر أما عظمته قص قصته بالتفصيل :من أنه وصل إلى مكة بعد الغروب بساعتين، ثم طلب شيئاً يأكله ولو تمراً يدفع به غائلة الجوع فلم يسعفه أحد؛ فنادى عظمة السلطان القائمين بأمر المضيف والمشرفين عليه، وهما : إبراهيم بن جُمَيعَة وابن إدريس ، وثارت ثائرته حينما رآهما، ثم أخذ يوسعهما ضرباً بنفسه حتى كادا يهلكان، ثم أوقفهما عن الخدمة بضعة أيام ردهما بعدها إلى الخدمة بعد توسط بعض المقربين.

وفي شتاء سنة ١٣٥١هـ ١٩٣٢م كان جلالته في الصيد، وكنت معه، فما راعنا بعد الغروب إلا زئير جلالته وأمره بضرب الطباخ نَصَّار، والشُّوَيْعِر المشرف على المضيف والمطبخ، فسألت عن جلية الخبر، فإذا بعض الضيوف يشكو من

قلة الطعام، وأنه أرز من غير سمن ولا لحم، فسألت ماذا يضر هؤلاء لو أكثروا للضيوف الأرز واللحم! إن الخير كثير. فقال لي صاحبي: ليست هذه أول فعلة لنصار وزميله، لأن العادة الجارية أن ما يبقى من الزاد، قل أو كثر، بعد انتهاء الصيد سيكون من نصيبهما، فمن مصلحتهما التقتير على الضيوف ليكون لهما النصيب الأوفر.

ولما حضرنا إلى مجلس الملك، وكان ولي عهده الأمير سعود هو رئيس الركب أخذ جلالة الملك يعطيه درساً من أنفس الدروس في المراقبة والملاحظة، وعدم الاعتماد على الخدم، ثم أخذ يقص علينا درساً تاريخياً فيما أصاب أعمامه من تركهم الحبل على الغارب للخدم الذين لم يكونوا يراعون مراكز الناس ومشايخ القبائل، حتى انفض الناس من حولهم.

وقد اقترحت إلغاء هذه العادة ورد مابي من الزاد إلى المخزن، وبذلك نستأصل شأفة العلة، ولكن العادات غالبات ليس من السهل إلغاؤها.

الأكل

والعادة في الأكل أن تقدم قصعة واحدة أو عدة قصعات إذا كان العدد كبيراً، ويحيط عدد قليل أو كثير بالقصعة بدون تفاوت في منازلهم، فالملك والشيخ والوزير والخادم يأكلون جميعاً بأيديهم من قصعة واحدة، ولايرى الملك غضاضة في أن يكون بجواره من هو أدنى منه، لأن الجميع من آدم وادم من تراب.

والعادة أن الإنسان إذا شبع يكف عن الأكل، ولا يقوم حتى يقوم الجميع مرة واحدة، فإذا قام واحد خطأ قام الجميع، ويعدون بقاء البعض بعد قيام بعض الآكلين من الشره، وقد أبطل الملك عبد العزيز هذه العادة، فأتاح لمن شبع أن

يقوم إذا أراد، ولكن لايزال للعادة أثرها في كثير من أنحاء نجد.

والنساء في العادة لا يأكلن مع الرجال بل يأكلن على حدة، ومن العيوب العظيمة أن تأكل المرأة مع زوجها أو الأم مع أولادها الذكور الكبار، أما الفال الصغار فيأكلون مع أبيهم وأمهم، ولكن إذا كبرت البنات انفصلن في الأكل عن أبيهن وسرن يأكلن مع أمهن فقط، وهذه العادة ليست خاصة بنجد، بل الكويت والبحرين وعمان وبادية الحجاز مثل نجد في ذلك، أما المدن الحجازية فإنها لا تتمسك بهذه العادة إلا في البيوت التي يمت أهلها بصلة إلى نجد.

والعادة في الأكل أن لايجهز بكمية تناسب الآكلين، فالبيت الذي يضم ثلاثة أنفار يحضر الطعام فيه لخمسة أو ستة احتياطاً للطوارئ، فإن لم يحضر ضيف أعطى الطعام للفقراء أو ألقى للحيوانات.

وطريقة تحضير الطعام تختلف في نجد والحجاز وسواحل الخليج العربي، فكل جهة تقتبس من الجهات القريبة منها طريقة تحضي الطبخ ففي القصيم تجد أثر الطبخ السوري ولا سيما الحلويات، في الكويت ترى طريقة الطبخ البصري، وفي البحرين أثر الطبخ الهندي والفارسي، وفي الرياض أثر الطبخ الكويتي، وفي الحجاز أثر الطبخ الشرقي على اختلاف أنواعه، على أن لكل بلد أصنافاً خاصة تفضلها عن سواها.

والطعام الغالب في البادية التمر والأرز واللحم في بعض أيام من الأسبوع، أما في المدن فالطعام الرئيسي الأرز واللحم والسمك والرُّوبيْان في الجهات الساحلية، وفي أواسط بلاد العرب الجرِيش (البُرْغل) بجانب الأرز.

ولقد طغت العادات الغربية على العادات القديمة فأصبح الناس يتناولون طعامهم على الموائد وقل من يتناول طعامه على الأرض.

زي من أزياء النساء في مكة